(ISSN: 2959-5436) مجلة جامعة سومر للعلوم الانسانية (SUJHUS)
عدد خاص بوقائع المؤتمر العلمي الدولي الرابع للعلوم الانسانية والتربوية والنفسية الذي اقامته جامعة سومر للفترة
من 7-8 نيسان 2025 (القسم الاول), الصفحات 165-178

نظرة القران الكريم للمكافئة وجزاء المنحرفين قراءة عقائدية

أ.م.د. محمد عيدان محمد[1]*

[1]وزارة التربية، المديرية العامة لتربية ذي قار، العراق

الملخص:

اذا تتبعنا الجزاء الالهي في الحياة الدنيا نجد القران يعرض لنا صورا دقيقة لألوان العذاب التي كانت الجزاء المستحق لتلك الامم التي طغت وبغت واستعلت على الانبياء ولم ترع للنصح والارشاد, وقد يكون العذاب استئصالا عندما تكون الامة مصرةً على الذنوب ,وقد يكون العمل فرديا فيأتي الجزاء من الله تعالى على الفرد ,فاذا لم تكن هناك فرصة لرجوعه للصراط المستقيم شمله عذاب الاستئصال من الارض ,وقد يحل بالإنسان جزاء يجعله يعيد حساباته ويرجع تائبا لله تعالى ,واذا امعنا النظر في القران الكريم نجده يضع لنا قانونا يوضح ارتباط العمل بالجزاء فمتى غير الانسان والمجتمع حاله من العصيان الى الطاعة بدل سبحانه حالهم الى الرخاء, وكذلك اذا ما رجع الانسان في الشدة والبأساء التي اصابته الى الله بقلب سليم بدل الله تعالى حاله الى الرخاء ,اما اذا ما كان في نعمة ودعة ورخاء فتبطر وظلم ظهر اثر له في تبديل نعمته الى بأساء وضراء, ولم يبخس سبحانه المتقين فقد وعدهم بالجزاء الحسن في الدنيا والاخرة ,فاذا صلح الفرد والمجتمع انعكس ذلك اثرا ايجابيا فيهما.

الكلمات المفتاحية: القران الكريم - المكافئة - جزاء المنحرفين.

The Holy Quran's view of reward and punishment for deviantsA doctrinal reading

Asst. Professor Dr. Mohammed Idan Mohammed[1*]

[1]*Ministry of Education ,General Directorate of Education Thi Qar, Iraq*

Abstract:

If we follow the divine reward in the worldly life, we find the Qur'an showing us accurate images of the colors of the torment that were the penalty due to those nations that were overwhelmed and overwhelmed and used to the prophets and did not sponsor the advice and guidance, and the torment may be eradication when the nation is insisting on sins, and the work may be individual, then the reward comes from God Almighty to the individual, so if there is no opportunity to return to the path And it may be permissible in a person with a penalty that makes him repeat his accounts and returns repentance to God Almighty, and if we look at the Holy Qur'an, we find it a law that clarifies the association of work with the reward, so when a person other than man and society is a state of disobedience to obedience instead of glory be to Him to prosperity, and also if a person returns in the intensity and misfortune that afflicted him to God with a healthy heart instead of God Almighty to So he brokes and injustice appeared to him in replacing his grace to the evil and bad, and the glorified of the righteous did not underestimate, as he promised them the good reward in this world and the hereafter.

Keywords: The Holy Quran - Reward - Punishment of deviants.

المقدمة:

* **Email address: mmh2488gmail.com**

اقتضت العدالة الالهية ان يكون لكل عمل مكافئة او جزاء في الدنيا والاخرة, وان هذا الجزاء يرتبط ارتباطا وثيقا بنوع العمل ,فاثر العمل الصالح في المجتمع واضحة في علو شأنه ورقيه بين الامم, فتعيش الامة في امن وامان وتنهال عليها بركات السماوات والارض , اما العمل الخبيث فان له اثارا وخيمة لان الجزاء الالهي يكون رادعا لمن تسول له نفسه الاساءة وليتعظ به غيره بمعنى هنالك مكافئة وجزاء.

فالنظر في القران الكريم يكشف لنا حال الامم السابقة التي ارتكبت الاعمال السيئة فكان جزائها نزول العذاب العظيم , واليوم تعيش المجتمعات حال من الانغماس في الرذائل والاعمال القبيحة ,فيد الانسان امتدت لإفساد البر والبحر, لذا كان الجزاء الالهي مناسب لأعمالهم, وهذا ما دعاني لتسليط الضوء على الآيات التي ربطت بين اعمال الناس وبين اثارها معتمدا على الاثار الدنيوية فقط ,وقسمت البحث الى مبحثين الاول المكافئة في القران والثاني جزاء الانحراف.

المبحث الاول
المكافئة في القران

اولاً: تعريف المُكافَئةُ:

الجَزاء على الشَّيءِ, وهُوَ مَا فِيهِ الكِفايَةُ إن خَيْراً فخَيْرٍ وَإن شرّاً فشرَ, وجَزَى الشيءُ يَجْزِي: كَفَى.[1] العمَل، مُحَرَّكَةً: المِهنة، والعمَل: حَرَكَةُ البدَنِ بكُلِّه أَو بَعْضِه.[2].

ثانيا :قانون المكافئة في القران :

الانسان انه اذا اراد ان يغير حاله من حال الى حال وجب عليه ان يغير ظروفه وما يحيط به **(إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ)**الرعد: 11,بينت الاية الوضع النفسي والروحي والفكري للإنسان ,وبين الوضع الاجتماعي ,بين داخل الانسان وبين خارجه ,فخارج الانسان يصنعه داخل الانسان, فاذا اراد تغير ما بنفس القوم تغير ما عليه وضعهم, وعلاقاتهم والروابط التي تربط بعضهم ببعض[3]

إن الرحمة الربانية عامة تسع جميع الخلق ، لكنها تبلغ الناس وتصل إليهم بما يناسب كفاءتهم وشأنهم ، فإن الله سبحانه يغدق مبتدئا بنعمه المادية والمعنوية على جميع الأمم ، فإذا استفادوا من تلك النعم في السير نحو الكمال والاستمداد منها في سبيل الحق تعالى والشكر على نعمائه ، بالإفادة منها إفادة صحيحة ، فإن الله سبحانه سيثبت نعماءه ويزيدها , أما إذا استغلت تلك المواهب في سبيل الطغيان والانحراف والعنصرية ، وكفران النعمة والغرور والفساد ، فإن الله سيسلبهم تلك النعم أو يبدلها إلى بلاء ومصيبة ، بناء على ذلك فإن التغيير يكون من قبلنا دائما ، وإلا فإن النعماء الإلهية لا تزول[4]

وابرز مثال على ارتباط تغير وواقع الامة بأعمالها ما حدث في بني اسرائيل حين امنوا واحسنوا بارك الله لهم في معيشتهم وعلا شأنهم فما ان انقلبوا وعاثوا الفساد في الارض سلب الله منهم الامن والامان ودمرهم تدميرا حين ندموا واصلحوا حالهم جازاهم الله بالحسنى واعاد لهم نعمهم . فإن الإنسان لابد وأن يذوق في هذه الدنيا المكافئة او جزاء ما اقترف من أسباب العلو ,ولهذا السبب بالذات رأينا أن بني إسرائيل لاقوا جزاءهم السريع في الدنيا ، من دون أن يعني ذلك انتفاء العقاب الأخروي ، وذاقوا الكثير من السوء والمصائب .[5]

ثالثا: الاثر الايجابي للمكافئة في المجتمعات غير المسلمة

إذا كان الإيمان والتقوى يبعثان على نزول أنواع البركات الإلهية ، ويكون العكس موجبا لسلب البركات ، فلماذا نشاهد الشعوب غير المؤمنة ترفل في الرخاء والرفاه ، في حين يعيش جماعة من أهل الإيمان بعسر ومشقة ؟ إن الإجابة على هذا السؤال بملاحظة نقطتين[6]:

1 - إن تصور أن الشعوب غير المؤمنة الفاقدة للتقوى ترفل في النعمة والرخاء وتغرق في السعادة هو تصور خاطئ ينبع من اشتباه أكبر ، وهو ان الثروة دليل على السعادة , إن الناس يتصورون أن كل شعب امتلك صناعة أكثر تقدما ، في حين لو تسنى لنا أن ننفذ إلى أعماق هذه المجتمعات ونلاحظ الآلام التي تحطم روح هذه الشعوب ، فسوف نسلم أن أكثر تلك الشعوب هي من أشقى سكان الأرض ,هذا بغض النظر عن أن هذا التقدم النسبي إنما هو نتيجة استخدامهم لأصول ومبادئ مثل السعي والاجتهاد .

2- سبب تخلف المجتمعات المتحلية بالإيمان والتقوى ،فإذا كان المقصود من الإيمان والتقوى هو مجرد ادعاء الإسلام وادعاء أتباع مبادئ الأنبياء وتعاليمهم , ولكننا لا نعد حقيقة الإيمان والتقوى إلا نفوذهما في جميع أعمال الإنسان ، وجميع شؤون الحياة ، وهذا أمر لا يتحقق بمجرد الادعاء , والمؤسف جدا أن نجد التعاليم الإسلامية ومبادئ الأنبياء متروكة في كثير من المجتمعات الإسلامية ، فملامح هذه المجتمعات ليست ملامح مجتمعات المسلمين الصادقين الحقيقيين , لقد دعا الإسلام إلى الطهارة والاستقامة والأمانة والاجتهاد والجد ، فأين تلك الأمانة والاجتهاد ؟إن الإسلام يدعو إلى العلم والمعرفة واليقظة والوعي ، وإن الإسلام يدعو إلى الاتحاد والتضامن ووحدة الصفوف والتفاني ، فهل سادت هذه الأصول والمبادئ في المجتمعات الإسلامية الحاضرة بصورة كاملة ، ومع ذلك بقيت متخلفة ؟! لهذا يجب أن نعترف بأن الإسلام شيء ، والمسلمون اليوم شيء آخر .

رابعاً: المكافئة بالمثل عند الانسان

وجب علينا ان نستلهم الدروس والعبر التي تعيننا في تعامل بعضنا مع البعض الاخر, واذا امعنا النظر في الآيات المباركة يمكننا القول ان مكافئة الاعمال عند الناس ينقسم الى:

1- مقابلة الاحسان بالإحسان: اوجب سبحانه ان يجازي اخيه الانسان بالحسنى اذا تفضل عليه واحسن اليه (**هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ**)الرحمن: ٦٠, سبحانه يجازي عباده افضل الجزاء لذا يجب على العباد فعل ذلك فيما بينهم, واوجب سبحانه على امة نبيه(صلى الله عليه واله وسلم) ان يكون الجزاء الحسن له هو محبة آل بيته عليهم السلام جزاء للتضحيات العظيمة التي قدمها من اجل نشر الدين

2- مقابلة الشيء بمثله :ويتمثل هذا في العقوبات بالخصوص (**وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**) البقرة: ١٧٩,وفي هذا التشريع رد للمعتدي ليعيش ابناء المجتمع بأمان, وقد اكد النبي على اهمية القصاص, فقال :(إن ربي عز وجل حكم وأقسم أن لا يجوزه ظلم ظالم ، فناشدتكم بالله أي رجل منكم كانت له قبل محمد مظلمة إلا قام فليقتص منه ، فالقصاص في دار الدنيا أحب إلي من القصاص في دار الآخرة على رؤوس الملائكة والأنبياء , فقام إليه رجل من أقصى القوم يقال له سوادة بن قيس ، فقال له : فداك أبي وأمي يا رسول الله ، إنك لما أقبلت من الطائف استقبلتك وأنت على ناقتك العضباء وبيدك القضيب الممشوق، فرفعت القضيب وأنت تريد الراحلة فأصاب بطني ، فلا أدري عمدا أو خطأ , فقال معاذ الله أن أكون تعمدت , ثم قال : يا بلال ، قم إلى منزل فاطمة فأتني بالقضيب الممشوق, وبعد

ان رجع بلال بالقضيب قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : أين الشيخ ؟ فقال الشيخ : ها أنا ذا يا رسول الله ، بأبي أنت وأمي ؟ فقال : تعال فاقتص مني حتى ترضى , فقال الشيخ : فاكشف لي عن بطنك يا رسول الله ، فكشف (صلى الله عليه وآله) عن بطنه ، فقال الشيخ : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، أتأذن لي أن أضع فمي على بطنك ؟ فأذن له ، فقال : أعوذ بموضع القصاص من بطن رسول الله من النار يوم النار , فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : يا سوادة بن قيس ، أتعفو أم تقتص ؟ فقال : بل أعفو يا رسول الله , فقال (صلى الله عليه وآله) : اللهم اعف عن سوادة بن قيس كما عفا عن نبيك محمد) [7] , كما طلب سبحانه مقابلة احسان الوالدين بمثله فاذا ما عق الولد والديه فالجزاء يكون بالمثل في المستقبل على الغالب لان الابناء سيعقون اباءهم وهذا ما لمسناه في مجتمعنا ولا حاجة لذكر القصص والامثل عليه لأنها كثيرة جدا.

3- مقابلة الاساءة بالإحسان: وقد تسمو الانفس العالية برد الاساءة بالحسنى لان هذا ما اوصى به الله فعدم مقابلة الاساءة بالإساءة قد ينقلب الى محبة وصحبة, واعظم من تمثل بالصفح في هذه الدنيا الرسول الكريم(صلى الله عليه واله وسلم)فقد صفح عن قريش التي اذاقته اشد العذاب فقد قال لهم حين دخل مكة منتصرا:(مَا تَرَوْنَ أَنِّي صَانِعٌ بِكُمْ؟)(قَالُوا: خَيْرًا , أَخٌ كَرِيمٌ وَابْنُ أَخٍ كَرِيمٍ)(قَالَ: اذْهَبُوا فَأَنْتُمُ الطُّلَقَاءُ)[8]

4- مقابلة الإحسان بالإساءة: وهي شيمة لمن لا وفاء له ,فسرعان ما ينسى او يتناسى الفضل الذي قدم له او انه لا يريد ان يستقبل الاحسان بل يواجه كل ذلك بالإساءة ,وهذا ما حدث مع الانبياء والاوصياء فقد افنوا حياتهم لأجل الامم فلاقوهم بالإساءة **(قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ)** يس: ١٨ .

خامساً: ارتباط المكافئة بالوقت

تكفل سبحانه بهداية الناس بكل الوسائل كإرسال الانبياء ووضوح طريق الحق بالفطرة الالهية ,كما اوجد سبحانه اوقاتا خاصة تكون الاجواء فيها روحانية يقبل فيها الانسان بجوارحه لله تعالى ,ومن تلك الاوقات شهر رمضان ففيه يحسن عمل الانسان فيجازيه سبحانه بالجزاء الحسن في الدنيا والاخرة **(وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ)**البقرة: ١٨٤,حتى ان الجزاء الرباني يشمل صحة الانسان ,حيث ثبت في الطب الحديث(لم يعد يعتبر الصيام مجرد عملية إرادية يجوز للإنسان ممارستها أو الامتناع عنها، فإنه وبعد الدراسات العلمية والأبحاث الدقيقة على جسم الإنسان ووظائفه الفسيولوجية ثبت أن الصيام ظاهرة طبيعية يجب للجسم أن يمارسها حتى يتمكن من أداء وظائفه الحيوية بكفاءة، وأنه ضروري جدا لصحة الإنسان تماما كالأكل والتنفس والحركة والنوم، فكما يعاني الإنسان بل يمرض إذا حرم من النوم أو الطعام لفترات طويلة، فإنه كذلك لا بد أن يصاب بسوء في جسمه لو امتنع عن الصيام, وورد في الحديث (قلت: يا رسول مرني بعمل ينفعني الله به،(قال: عليك بالصوم فإنه لا مثل له)[9], وقال صلى الله عليه واله (صوموا تصحوا)[10] والسبب في أهمية الصيام للجسم هو أنه يساعده على القيام بعملية الهدم التي يتخلص فيها من الخلايا القديمة ، ونظام الصيام المتبع في الإسلام - والذي يشتمل على الأقل على أربع عشرة ساعة من الجوع والعطش ثم بضع ساعات إفطار - هو النظام المثالي لتنشيط عمليتي الهدم والبناء، وهذا عكس ما كان يتصوره الناس من أن الصيام يؤدي إلى الهزال والضعف، بشرط أن يكون الصيام بمعدل معقول كما هو في الإسلام، حيث يصوم المسلمون شهرا كاملا في السنة ويسن لهم بعد ذلك صيام ثلاثة أيام في كل شهر ,كما يقوم الصيام مقام مشرط الجراح الذي يزيل الخلايا التالفة والضعيفة من الجسم، فالجوع الذي يفرضه الصيام على الإنسان يحرك الأجهزة الداخلية لجسمه لاستهلاك الخلايا الضعيفة لمواجهة ذلك الجوع، فتتاح للجسم فرصة ذهبية كي يسترد خلالها حيويته ونشاطه، كما أنه يستهلك أيضا الأعضاء المريضة ويجدد خلاياها، [11]

سادسا : ترتُب المكافئة قبل حدوث الفعل

اقتضت العدالة الالهية ان لا تترتب العقوبة والاثر الا بحدوث الفعل ,اما الانسان فقد يرتب الاثر دون وقوع العمل هذا ما ذكره القران الكريم ,في قصة فرعون مع قومه فقد كان يوقع الجزاء بقتل الاطفال خوفا من ولادة من يكون زال ملكه على يده (**إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ**) القصص: ٤,لهذا احتج موسى عليه السلام على فرعون حين مَنَ عليه بتنشئته في بيته فرده وهذا خلاف موقف الامام علي عليه السلام على الرغم من معرفة قاتله لم يسعى للنيل منه, وعندما سأله الامام الحسن عليه السلام عن سبب الاحسان لقاتله وعدم قتله ,اجاب ان اخلاقه لا ترتضي ايقاع العقوبة والقصاص قبل وقوع العمل, فقد ورد في الرواية ان الامام علي عليه السلام اخبر الامام الحسن بقرب استشهاده فقال الحسن عليه السلام : وهل تدري متى يكون ذلك يا أبت ؟ قال : يا بني إن الله يقول (**وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ**) لقمان: ٣٤ , ولكن عهد إلي حبيبي رسول الله (ﷺ)أنه يكون في العشر الأواخر من شهر رمضان ، يقتلني ابن ملجم المرادي ، فقلت له : يا أبتاه ، إذا علمت منه ذلك فاقتله ، قال : يا بني لا يجوز القصاص إلا بعد الجناية والجناية لم تحصل منه ، يا بني لو اجتمع الثقلان الإنس والجن على أن يدفعوا ذلك لما قدروا.[12]

سابعا :نماذج من المكافئة في القران الكريم

القران كتاب هداية , نظم للمسلمين امور حياتهم ليعيشوا تحت جناحه بأمان اذا ما عملوا به, ومن الأمثلة على ذلك:

1- مولاة الكفار(**وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ**) الأنفال: ٧٣,أي: والذين كفروا بعضهم أولياء بعض في النصرة والتعاون على قتالكم وإيذائكم- أيها المؤمنون- فهم وإن اختلفوا فيما بينهم إلا أنهم يتفقون على عداوتكم وإنزال الاضرار بكم. وقوله: إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسادٌ كَبِيرٌ تحذير شديد للمؤمنين عن مخالفة أمره- سبحانه- أي: إلا تفعلوا- أيها المؤمنون- ما أمرتكم به من التناصر والتواصل وتولى بعضكم بعضا، ومن قطع العلائق بينكم وبين الكفار، تحصل فتنة كبيرة في الأرض، ومفسدة شديدة فيها، لأنكم إذا لم تصيروا يدا واحدة على الشرك، يضعف شأنكم، وتذهب ريحكم، وتسفك دماؤكم ويتطاول أعداؤكم عليكم، وتصيرون عاجزين عن الدفاع عن دينكم وعرضكم وبذلك تعم الفتنة، وينتشر الفساد[13].

2- كما اشار القران الى اهم الامور التي يكون تأثيرها وخيما ان لم تعالج بحكمة (**وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا**) النساء:3 ,يتبين لنا موضوعين اولهما ضرورة الاهتمام باليتامى ليكونوا عنصرا فاعلا في بناء المجتمع لا هدمه , والثاني موضوع تعدد الزوجات, ففي بعض الظروف التي تمر بها المجتمعات هناك افرازات في زيادة عدد الارامل والمطلقات فان لم تعالج هذه المشكلة كان لها اثرا سلبيا؛ لذا اباح الاسلام وحفاظا على كرامة المرأة الزواج بأكثر من واحده مع مراعاة العدالة في المعاملة.

ثامناً: المكافئة في بناء المجتمع

اسس الاسلام نظاما اجتماعيا تسوده المُثل والقيم الانسانية, حيث يضمن للأفراد العيش الرغيد في امن وامان, فاذا انعمنا النظر في القران الكريم نجده يرسم سياسة الفرد والمجتمع في التعايش السلمي بين اعضاءه ,ان الآيات المباركات تطرقت لأمور دقيقة من شأنها ان تبني مجتمعا صالحا ,فآية واحدة تطرقت لأعمال عديدة كفيلة ان تكون نظاما اجتماعيا يحتذى به

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ) الحجرات: ١٢,فاذا خلى المجتمع من التجسس والغيبة بنيت جسور من الثقة بين اعضاء المجتمع, ,كما تطرق القران للجانب الاقتصادي كي يزيل الطبقية الاجتماعية ففرض الزكاة والكفارات المالية, فاذا بادر الفرد بالعمل اقتطع جزء من ماله لتحقيق التقارب بينه وبين غيره لتزال الضغائن والاحقاد لكي لا يسلك الفقير طريق السرقة .

تاسعاً: تناسب عمل المعصوم مع المكافئة

الانبياء معصومون من الخطأ والزلل ,وقد يجازي سبحانه بعض انبياءه عندما يقعون في مورد ترك الاولى جزاء على ذلك المورد البسيط والامثلة هي:

الاول: الجزاء الذي انزله سبحانه على نبيه يونس عليه السلام عندما خرج مغاضبا **(وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ)** الأنبياء: ٨٧,فكان جزاءه **(فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ)** الصافات: ١٤٢,فكان جزاء يونس عظيم جدا فقد سجن بأغرب سجن وجد على الارض, سجن في بطن الحوت تحت الماء ,وهذا يناسب أي زله من باب ترك الاولى للمعصوم.

ثانيا: يعقوب عليه السلام **(قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ)** يوسف: ٥, روى ابو حمزة: قلت لعلى بن الحسين (عليه السلام): متى رأى يوسف الرؤيا؟ فقال: في تلك الليلة التي بات فيها يعقوب وولده شباعا، وبات فيها ذميال جائعا, رائها فأصبح, فقصها على يعقوب من الغد فاغتم يعقوب لما سمع من يوسف الرؤيا مع ما أوحى الله اليه ان استعد للبلاء، فقال ليوسف: لا تقصص رؤياك هذه على اخوتك فاني أخاف أن يكيدوك، فلم يكتم يوسف رؤياه وقصها على اخوته، فقال على بن الحسين (عليه السلام) فكان أول بلوى نزلت بيعقوب وآله الحسد ليوسف لما سمعوا منه الرؤيا التي رآها، قال: واشتد رقة يعقوب على يوسف وخاف أن يكون ما أوحى الله اليه من الاستعداد للبلاء انما ذلك في يوسف فاشتدت رقته عليه، وخاف أن ينزل به البلاء في يوسف من بين ولده فلما أن رأوا اخوة يوسف ما يصنع يعقوب بيوسف من اكرامه وايثاره اياه عليهم اشتد ذلك عليهم، وأبتدئ البلاء فيهم، فتآمروا فيما بينهم[14] ,فرد يعقوب(ع) الفقير الجائع ناسبه من الجزاء العظيم فراقه ليوسف سنين طوال.

ثالثا: يوسف :عن طربال عن أبى عبدالله (عليه السلام) قال: لما امر الملك بحبس يوسف في السجن ألهمه الله علم تأويل الرؤيا، فكان يعبر لأهل السجن رؤياهم وان فتيين ادخلا معه السجن يوم حبسه، فلما باتا أصبحا فقالا له: انا رأينا رؤيا فعبرها لنا، فقال: و ما رأيتما؟ فقال أحدهما: (اني أراني احمل فوق رأسي خبزا تأكل الطير منه) وقال الآخر: اني رأيت ان اسقي الملك خمرا ففسر لهما رؤياهما على ما في الكتاب، ثم قال للذي ظن انه ناج منهما اذكرني عند ربك، قال: ولم يفزع يوسف في حاله إلى الله فيدعوه فلذلك قال الله: (فأنساه الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين) قال: فأوحى الله إلى يوسف في ساعته تلك: يا يوسف من أراك الرؤيا التي رأيتها؟ فقال: أنت يا ربى، قال: فمن حببك إلى ابيك؟ قال: أنت يا ربي, قال فمن وجه السيارة اليك؟ فقال: انت يا ربي، قال: فمن علمك الدعاء الذي دعوت به حتى جعل لك من الجب فرجا؟ قال: أنت يا ربى..... قال: فكيف استغثت بغيرى ولم تستغث بي وتسألني ان أخرجك من السجن، واستغثت وأملت عبدا من عبادي ليذكرك إلى مخلوق من خلقي في قبضتي ولم تفزع إلي؟ البث في السجن بذنبك بضع سنين بإرسالك عبدا إلى عبد.[15]

عاشراً: المكافئة على الصبر

من ابرز مقومات النجاح الصبر في المعارك الصبر فالمعركة تحتاج للمقاتل الصابر الشجاع, لان ذلك ينعكس اثرا ايجابيا في نتائج المعركة ,فقد تكون الكفة غير متساوية من حيث العدة والعدد, فيكون الصبر مفتاح النصر واذا نرى اثر الصبر بالظفر بالمعركة , من ذلك: معركة حُنين كان لأعجاب المؤمنين بعدتهم وعددهم وعدم صبرهم في مواجهة العدو الاثر الكبير في الهزيمة المرة التي حلت بهم **(لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ)**التوبة: ٢٥,ولولا موقف النبي لانهزم المسلمين في المعركة, وعندما عاد المسلمون لرشدهم وعادوا للقتال بعد انسحابهم جاءتهم الامدادات الالهية ,

ولهذا كان الثلة القليلة الصابرة المجاهدة في سبيل الله الاثر الكبير في تحقيق كل الانتصارات على مر التاريخ, فقد امتحن الله تعالى الجيش الذي صحب الامام الحسين فقد اخبرهم (عليه السلام) بانه ماض للشهادة لا للسلطة ففشلت الجموع الغفير التي سارت معه لنيل ما اكنوه بدواخلهم ولم ينالوا شرف الشهادة مع الامام وبقت الثلة القليلة الصابرة التي لم تبال بالعطش والجموع الامام الحسين فقد اخبر اصحابه ان الجموع الغفيرة ترتضي بالقضاء عليه وحده لذا ارخص لهم الانصراف من المعركة فقال لهم (هذا الليل فاتخذوه جملا ,فان القوم إنما يريدونني ، ولو قتلوني لم يلتفتوا إليكم ، وأنتم في حل وسعة)[16] ,وقد اخبر السيدة زينب عليها السلام بذلك حين قالت له :(يا بن أمي هل استعلمت من أصحابك نياتهم فإني أخاف أن يسلموك عند الوثبة واصطكاك الأسنة)، فبكى الحسين عليه السلام وقال : (أما والله لقد بلوتهم فما رأيت فيهم إلا الأشوس الأقعس يستأنسون بالمنية دوني استئناس الطفل بلبن أمه)[17], حين ضحى الامام الحسين بكل ما لديه في سبيل الله كان نصر الدم على السيف ,فاصبح الحسين عليه السلام نبراسا لكل احرار العالم جزاء له من الله وهذا يعد من مصاديق الصبر

المبحث الثاني

الاقوام التي انحرفت وجازائها ومستوياتها في القران الكريم

المطلب الاول: اهم الاقوام التي انحرفت ونبينها كالاتي :

اولا: انحراف قوم عاد فكان جزائهم الريح المدمرة التي ظنوا انها تحمل لهم المطر ,فالجزاء الإلهي اصابهم كأمة كاملة حين جاء اجلها قال تعالى **(وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ)** الأعراف: ٣٤,اذن هناك وراء الاجل المحدود المحتوم لكل انسان بوصفه الفردي, اجل اخر وميقات اخر للوجود الاجتماعي للأفراد ,للامة بوصفها مجتمعا ينشئ ما بين افراده العلاقات والصلات القائمة على اساس مجموعة من الافكار والمبادئ المستندة بمجموعة من القوى والقابليات ,هذا المجتمع الذي يعبر القران الكريم بالأمة ,له اجل ,له موت ,له حياة ,كما ان الفرد يتحرك فيكون حيا ثم يموت ,كذلك الامة تكون حية ثم تموت ,وكما ان موت الفرد يخضع لأجل ولقانون كذلك الامم ايضا لها اجلها المضبوطة وقوانينها)[18]

ثانيا: السامري كَانَ السَّامِرِيُّ مِنْ عُظَمَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، مِنْ قَبِيلَةٍ يُقَالُ لَهَا: سَامِرَةٌ، وَلَكِنْ نَافَقَ بَعْدَمَا قَطَعَ الْبَحْرَ مَعَ بَنِي إِسْرَائِيل وقيل كان رجلا صائغا من أهل باجرو واسمه ميخا- وقال ابن عباس: اسمه موسى بن ظفر، [19] ومن اهم الفتن التي مرت على بني اسرائيل كانت على يده قال تعالى **(فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ)** طه: ٨٨,والظاهر من آيات القران الكريم ان هناك امران تعاضدا ليقع بنو اسرائيل في هذه الفتنة اولهما المصوغات الذهبية التي اخذت من اصحابها كما اشارت الآية 87 من سورة طه, والامر الاخر ظهور الوجه الحقيقي

للسامري ,وفي هذه الحادثة ايضا نال السامري وحده العذاب فكان جزاءه ثلاثة امور الاول والثاني في الحياة الدنيا(أَنْ تَقُولَ لَا مِساسَ وَفِيهِ وُجُوهٌ هي: أَنِّي لَا أَمَسُّ وَلَا أُمَسُّ وقالوا: وإذا مسه أحد حُم الماس والمسوس, فَكَانَ إِذَا أَرَادَ أَحَدٌ أَنْ يَمَسَّهُ صَاحَ خَوْفًا مِنَ الْحُمَّى وَقَالَ لَا مِسَاسَ, ومنها: لَا مِساسَ الْمَنْعُ مِنْ أَنْ يُخَالِطَ أَحَدًا أَوْ يُخَالِطَهُ أَحَدٌ, كما جوزي بان يرى ما بذل كل جهد فيه يحرق ويذرى في البحر, اما عذاب الاخرة فقد توعده سبحانه لا خلف فيه [20].

ثالثا: بلعم بن باعوراء أوتى علم بعض كتب الله فَانْسَلَخَ مِنْها, من الآيات، بأن كفر بها ونبذها وراء ظهره فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطانُ, فلحقه الشيطان وأدركه وصار قرينا له, وقيل أكرمناه باسم الله الأعظم, ويقال: آتَيْناهُ آياتِنا يعني: الكتاب وهي علم التوراة, وما معه من العلم والمكانة في بني اسرائيل الا انه استسلم للإغراءات و رغب بالمال ,فرضخ امام تلك الرغبات فعاقبة الله سبحانه جزاء لعمله الذي عمله عن علم بان نزع عنه الاسم الاعظم, والعلم, [21]

ويتبين لنا ان الله فضحة في القران على مر التاريخ ونعته بأفظع النعوت فقد شبهه الله تعالى بالكلب ,وقد اوردت كتب التفاسير ان بني اسرائيل الذين انزلقوا تبعا لمؤامراته عاقبهم الله بالتيه بما فيهم موسى عليه السلام ,عندها دعا موسى عليه فناله ما ناله من الجزاء ,ويتضح لنا من ذلك ان العالم اذا انحرف عن طريق الحق فان مكانته عند الله والناس لا تشفع له ,بل تكون وبالا عليه لما له من العلم ويكون جزاءه مضاعف بل يفضحه سبحانه وتعالى على مر الاجيال.

رابعاً: اصحاب البستان : ذكر أهل التفسير أن رجلاً كان بناحية اليمن له بستان، وكان مؤمنا ، وكان يأخذ منه قدر قوته، وكان يتصدّق بالباقي. وقيل: كان يترك للمساكين ما تعدَّاه المنجل، وما يسقط من رؤوس النخل، وما ينتثر عند الدّباس، فكان يجتمع من هذا شيء كثير، فمات الرجل عن ثلاثة بنين، فقالوا: والله إن المال لقليل، وإن العيال لكثير، وإنما كان أبونا يفعل هذا إذْ كان المال كثيراً، والعيال قليلاً، وأما الآن فلا نستطيع أن نفعل هذا, فعزموا على حرمان المساكين، وتحالفوا بينهم ليغدون قبل خروج الناس، فليصرمُنَّ نخلهم،[22]

ان الاب الصالح عندما كان يتصدق على الفقراء فان الله سبحانه اجزل له في العطاء وهذا واضح من الآية المباركة التي وصفت البستان بالجنة ,اما عندما ورث ابناءه الجنة وتغيرت نواياهم ونسوا ذكر الله ,وتعاهدوا على منع الصدقة للفقراء فان الجزاء كان احتراق البستان ولم يصيبوا شيئا منها, وهذا الجزاء الالهي كان له الاثر العظيم في ندمهم فرجعوا الى طريق الحق وطلبوا من الله سبحانه اصلاح حالهم وارجاع جنتهم ومع ان القران الكريم لم يذكر ما حدث بعد ذلك الا اننا نجزم بان الله سبحانه وتبعا لعدله في الجزاء قد تاب عليهم واصلح حالهم؛ لانهم رجعوا اليه سبحانه, وقد اشارت بعض المصادر الى هذا الراي.[23]

اما مستويات جزاء الانحراف في القران الكريم اذا تأملنا في الآيات المباركات يظهر لنا مستويات لنزول العذاب تتناسب مع نوع العمل هي :

المستوى الاول: نزول العذاب مع عدم اهلاك الناس كعذاب قوم فرعون فقد ذاقوا الوان من العذاب دون هلاكهم , فبعد نزول العقاب على فرعون اغرق هو ومؤسسة العسكرية ولم ينزل الهلاك على الناس.قال تعالى **(فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ)**الأعراف: ١٣٣

المستوى الثاني: الجزاء ينال امة واحدة باسرها دون غيرها, وقد قص علينا القران امثلة عديدة على هذا المستوى ,فكل امة تنحرف عن جادة الصواب وعبادة ربها نزل عليها عذاب الاستئصال.

المستوى الثالث: استمرار ايام العذاب على الامم ثم استئصالها نكالا لها وذلك تبعا لنوع المعصية او لمقابلتهم نعم الله بالجحود فكانت العقوبة مستمرة مصداقا لقولة تعالى **(سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ)** الحاقة: ٧.

المستوى الرابع: نزول العذاب على الامة بعدما اقترفت اشنع الرذائل(اللواط)مع الشرك بالله فكان العقاب ملائم لهذه المعصية لم يكتف الله سبحانه بإنزال الحجارة بل قلب سبحانه قراهم عاليها سافلها كي لا تشرق الشمس على تلك الارض التي ارتكب على ظهرها تلك المعصية.

المستوى الخامس: وهو اشد انواع الجزاء الالهي ,فاذ اعصى الانسان ربه وتمادى في عصيانه وكفره وتوارث ذلك الاجيال جيل بعد جيل جازاهم رب العالمين بعقوبة عظيمة ,فقد اغرق سبحانه الارض برمتها ,وقد تجاوز العذاب حدود تلك الامة فاهلك كل شيء حتى النبات والحيوان فقد بلغ الماء قمم الجبال.

المطلب الثاني: ارتباط الجزاء بعمل بالإنسان والمجتمع

نبين في هذا الموضع كيف ارتباط الجزاء بعمل الانسان والمجتمع كالاتي:

اولا: ارتباط الجزاء بعمل بالإنسان: كل نفس تنال جزاء اعمالها يوم القيامة , ولا يغني عمل انسان انسان اخر في الدنيا والاخرة, وان كان من ذوي القربى, وقد قص علينا القران ان نزول العذاب يشمل العاصين وان كانوا من آل الانبياء حتى ان نوح (ع) سال ربه نجاة ابنه فكان رده سبحانه ولم يترتب أي اثر لقرابة زوجة نوح ولوط عليهما السلام في استثنائهما من العذاب .[24] مصداقا لقولة تعالى **(كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ)** المدثر: ٣٨

ثانيا: ارتباط الجزاء بعمل المجتمع: سكوت الامة على الظلم وشيوع الفساد في المجتمع يترتب عليه اثر هو شمولهم في العذاب؛ لذا وجب على المصلحين الاتقياء القيام بدورهم في اصلاح مجتمعهم فاذا تقاعسوا ولم ينعكس صلاحهم على المجتمع فليستعدوا للعذاب فالنتيجة الطبيعية لما تكسبه امة عن طريق الظلم والطغيان, لا تخص حينئذ بخصوص الظالمين من ابناء الامة بل تعم ابناء المجتمع على اختلاف هوياتهم وسلوكهم, فقد شمل التيه اربعين سنة اطهر الناس وازكاهم واشجعهم في مواجهة الظلمة والطواغيت شمل موسى(عليه السلام) لأنه جزء من الامة. [25] ويمكننا ان نستنتج عن عقاب الاستئصال للأمم اسباب شمول الابرياء كالأطفال والغير مكلفين بالعذاب :

1- ان المجتمع سائر الى الانحراف الاخلاقي والابتعاد عن عبادة الله فكان الاولى تطهير الارض لان الاجيال تتعاقب على الانحراف لذا علل نوح (ع) ذلك في الآية الكريمة **(وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا (26) إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا (27))** نوح: ٢٦ – ٢٧,وهذا ما دعا العبد الصالح لقتل الغلام لان النتيجة كانت واضحة فعمله المستقبلي ذو نتائج وخيمة .

2- على كل مصلح بذل جهده في اصلاح مجتمعه وهذا منهج الانبياء فكل فرد في المجتمع عليه دور ومسؤولية في اصلاحه عن طريق الامر بالمعروف والنهي عن المنكر, قال رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ واله: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»[26]

وقد تكون الفتنة ان يسلط الله على الناس حاكم جائر يذيق الناس الوان من العذاب, قال النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيه وَاله؛ أَنَّه قال:(لتأمرون بالمعروف ولتنتهون عن المنكر، أو ليسلطن الله عليكم شراركم فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم)[27]

فترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر يناسبه من الجزاء تسليط الطغاة والفجرة على رقاب الناس ومقدراتهم ليكونوا قادة لهذه الامة الميتة التي لا تستجيب لدعوة الانبياء و المصلحين ,او ان يسلط الله سبحانه على الامة بعد اعراضها عن الله سبحانه اكابر مترفيها فيزدادوا في ظلمهم وفسادهم فيذيقوا الناس اشد العذاب وقد اشارت السيدة الزهراء عليها السلام الى هذا المعنى في خطبتها (الفدكية) [28]عندما انقلبت امة النبي(صلى الله عليه واله) على اعقابها فعصت الامة امر ربها وتركت وصية نبيها فلم تر بد من القيام بواجبها في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر, لذا حذرتهم من الاثر الذي سيحل بهم نتيجة هذا الخذلان بان يملك رقابهم الطغاة الذين يذيقوهم اشد العذاب(اما لعمري لقد لقحت فنظرة ريثما تنتج ثم احتلبوا ملء العقب دما عبيطا وذعافا ,واطمئنوا للفتنة جاشا وأبشروا بسيف صارم وسطوة معتد غاشم وبهرج دائم شامل واستبداد من الظالمين يدع فيأكم زهيدا وجمعكم حصيدا فيا حسرة لكم وانى بكم وقد عميت عليكم أنلزمكموها وانتم لها كارهون), فالتخلف عن ركب الحق مع علي وفاطمة(عليهما السلام) يكون اثره في المجتمع وقع عظيم فسينزف الدم من الفتن ويضيع الحرث والنسل بعد استعلاء الظلمة على الامة, وما اشبه هذا الموقف بموقف الامام الحسين عليه السلام حينما رأى المجتمع في انهيار فقد خرج مصلحا معلنا كلمة الحق في وجه الظالم وعندما لم يجد له اذن صاغية وعندما روت دماء اصحابه واهله الارض حذرهم من الجزاء الرباني في الدنيا قبل الاخرة,حيث يترتب على عملهم الشنيع تولي الظلمة الذين سينال ظلمهم الامة باسرها ,وبانتشار القحط , فقال عليه السلام لهم(ألا ثم لا تلبثون بعدها إلا كريث ما يركب الفرس ، حتى تدور بكم الرحى .... اللهم احبس عنهم قطر السماء ، وابعث عليهم سنين كسني يوسف ، وسلط عليهم غلام ثقيف يسقيهم كأسا مصبرة ، ولا يدع فيهم أحدا إلا قتلة بقتلة ، وضربة بضربة ، ينتقم لي ولأوليائي وأهل بيتي وأشياعي منهم ، فإنهم غرونا وكذبونا وخذلونا)[29].

فمعنى الدين ان ينزل المتدين الى ساحة المواجهة لإصلاح مجتمعه لا ان ينزوي في مغارة يتعبد فيها ويبتعد عن مسؤوليته ,واذا انعزل وترك الامة في ظلاله وجهالة استحق العقاب معهم.

3- يجب علينا ان نسلم لآمر الله تعالى فاذا نزل العذاب وشمل الكل فان في ذلك حكمة ربانية قد لا نعلمها نحن بل يكفينا ان نسلم ان الله تعالى حكيم لا يظلم مثقال ذرة.

ثالثاً: اثر الغفلة عن ذكر الله: المتمعن في آيات الذكر الحكيم يجد انها رتبت جزاء عظيم عند ذكر الله وتسبيحه او شكره واستغفاره وغيرها من الاذكار, فهل مجرد تلك الاذكار كافية في ترتيب الاثر القلم قال تعالى :**(وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا)**الكهف: ٣٩,الايتان تتحدثان عن دخول البساتين التي وصفها الله سبحانه بانها جنات ,ويمكننا القول انه كان الاجدر بأصحابها اعترافا منهم بفضل الله عليهم ,ان يذكروا الله بألسنتهم وترجمة ذلك الذكر بواقع عملي ,ففي الآية الاولى نصح الاخ الاوسط اخوته بتسبيح الله تعالى وكان المورد في الحادثة انهم ارادوا منع الفقراء من الصدقة ,فقد اراد منهم العودة الى الله وتنزيهه وذكر نعمته وانه هو الذي يتفضل عليهم بالرزق ,وقد طلب منهم ان يعطوا الصدقة, اما الآية الثانية فقد طلب الصديق المؤمن من صاحبه(الذي انكر نعمة الله عليه وجره الطغيان الى انكار وجود الله وعلى فرض وجوده فان له عنده مكانه مرموقة كمكانته في الدنيا)طالبه بان يدخل الى بساتينه ذاكرا الله معترفا بقدرة الله التي بها نال كل تلك الخيرات ,وفي كلتا اللايتين لم يرعوي الطغاة لكلام الحق فنالهم جزاء سلب هذه النعم فأصبحت تلك البساتين اراضي جرداء ,اما نوح النبي عليه السلام فقد طلب من قومه الاستغفار فدعا نوح قومه لعبادة الله سبحانه لكنهم ابوا الايمان واصروا على الكفر, ان طلب الاستغفار منهم فهو مقرون بالإيمان به تعالى فلا معنى للاستغفار دون الايمان به وترجمة ذلك الى عبادة وعمل بدليل ربطه تعالى في اية ا لاستغفار بالتوبة قال تعالى : **(وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا**

رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ)هود: ٥٢,لذلك فكل ذكر لله تعالى يصدر من دون ايمان به لا يترتب عليه اثر, اما اذا صدر من مؤمن فان الاثر يترتب عليه فندم يونس عليه السلام مقرونا بذكر الله كان له الاثر في نجاته قال تعالى **(فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ)** الأنبياء: ٨٨,اما اذا اردنا ان تدوم علينا النعم الالهية وجب علينا شكر نعمه ,قال علي(عليه السلام):(بالشكر تدوم النعم ، وبالكفر زوالها ، وخير القول أصدقه .)[30]

ومن نتائج شكر الله ترتُب الاثر الحسن في الدنيا والجزاء العظيم في الآخرة ,ولو ان اصحاب البساتين الواردة قصصهم في القران ذكروا الله وشكروه لما عذبهم الله قال تعالى **(مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا)** النساء: ١٤٧,وهناك ترابط وثيق ثبته القران بين الشكر ودوام النعم ومما لا شك فيه أن الله سبحانه وتعالى ليس بحاجة إلى شكرنا في مقابل نعمه علينا ، وإذا أمرنا بالشكر فذاك لنستوجب نعمة أخرى وهي واحدة من المبادئ السامية في التربية , المهم أن نعرف ما هي حقيقة الشكر ؟ لكي يتضح علاقته في زيادة النعمة من أين ؟ وكيف تستطيع أن تكون عاملا مهما للتربية ؟ إن حقيقة الشكر ليس فقط ما يقوله الإنسان (الحمد لله) أو الشكر اللفظي ، بل هناك ثلاث مراحل للشكر[31] :

الأولى : يجب أن نعلم من هو الواهب للنعم ؟ هذا العلم والإيمان الركن الأول للشكر .

والثانية : الشكر باللسان . والثالثة : وهي الأهم (الشكر العملي)، أي أن نعلم الهدف من منحنا للنعمة ، وفي أي مورد نصرفها ، وإلا كفرنا بها ، كما وتتضح أيضا هذه العلاقة بين الشكر وزيادة النعمة ، لأن الناس لو صرفوا النعم الإلهية في هدفها الحقيقي ، فسوف يثبتون عمليا استحقاقهم لها وتكون سببا في زيادة الفيوضات الإلهية عليهم, اما التسبيح اللفظي فهل له ارتباط بالجزاء الحسن؟

فمجرد تسبيح اللسان فيه فوائد منها: اولا هو باب من ابواب الهداية لان الله تكفل لمن ذكره بالقرب منه والجزاء الحسن ولذلك قال عليه الصلاة والسلام :(من تقرب إلى الله شبرا تقرب إليه ذراعا ، ومن تقرب إلى الله ذراعا تقرب إليه باعا ، ومن أقبل إلى الله ماشيا أقبل الله إليه مهرولا) , فكون النبي يونس عليه السلام من المسبحين كان له الاثر في نجاته, الثاني المكانة العالية والرفعة في الدنيا والاخرة ,جزاء لتسبيحهم ,فقد حصل آل البيت على هذه المنزلة لذكرهم الله وتسبيحه بكرة واصيلا ,حيث ارتبط لديهم التسبيح بالعمل الصالح وهذا هو المرجو من اثر التسبيح على نفس الانسان, وهذا هو الاصل في قبول الاذكار فقد أوصى رسول الله (ﷺ) عليا فقال:(يا علي ثلاث لا تطيقها هذه الأمة : المواساة للأخ في ماله ، وإنصاف الناس من نفسه ، وذكر الله على كل حال ، وليس هو : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ، ولكن إذا ورد على ما يحرم عليه خاف الله عز وجل عنده وتركه) [32] كما ان باقي الاذكار مرتبط بشرط اخر غير العمل, فقول كلمة التوحيد ربطها الامام الرضا عليه السلام بالولاية « إن اللَّه سبحانه وتعالى يقول : لا إله إلا اللَّه حصني فمن دخل حصني وجبت له الجنة ، ثم قال عليه السّلام : بشرطها وشروطها وأنا من شروطها »[33]

واما سبب ربط الامام قبول التوحيد بالولاية فقد واضحته الزهراء في خطبتها الفدكية حيث قالت عليها السلام(واطاعتنا نظاماً للملة، وإمامتنا اماناً للفرقة)فأثار اطاعة آل البيت تظهر واضحة في المجتمع, وفسر قولها عليها السلام :ان إمامة أهل البيت (عليهم السلام) وقيادتهم لهذه الأُمّة مفروضاً من الله سبحانه كسائر الواجبات ، وعلّة هذا الفرض تتجلّى اثاره في تخليص الأُمّة من شبح التّمزق والإنقسامات المصلحيّة,[34] وعلى هذا نستنتج ان اطالة اللحى والمداومة على الارتباط بالمسبحة ولقلقة اللسان بذكر الله, والقرب من اهل الدين تتضح حقيقته عند الاختبار الرباني ,ولهذا لم ينتفع ابليس من كثرة

عبادته ,كما لم تنتفع امة النبي من وصاياه, فقد انقلبت على اعقابها وابتعدت عن ذكر الله وتشريعاته, وهنا يظهر اثر الذكر هل حقق الهدف المنشود منه ام لا.

رابعاً: اثر الظلم في هلاك المجتمع: الله سبحانه تعالى عادل لا يظلم مثقال حبة لذا لا يرضى سبحانه لعبادة الظلم وهذا بيان لعدله وتقدّسه عن الظلم ، حيث أخبر بأنّه لا يهلكهم إلَّا إذا استحقّوا الإهلاك بظلمهم ، ولا يهلكهم مع كونهم ظالمين إلَّا بعد تأكيد الحجّة والإلزام ببعثة الرسل ، ولا يجعل علمه بأحوالهم حجّة عليهم ,ونزّه ذاته أن يهلكهم وهم غير ظالمين ، كما قال : **(وما كانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرى بِظُلْمٍ وأَهْلُها مُصْلِحُونَ)** , فنصّ في قوله : « بظلم » أنّه لو أهلكهم وهم مصلحون لكان ذلك ظلما منه ، وأنّ حاله في غناه وحكمته منافية للظلم .[35]

الخاتمة

ان لكل عمل يعمله الانسان اثرا وجزاء يجازى عليه, نخلص ببعض الاستنتاجات منها:

1- يكون اثر العمل نتيجة طبيعية للعمل الذي يقوم به الانسان ,اذا زاد المصلي بعمل منافي للصلاة فان بطلان الصلاة هو الاثر لذلك, كل هذه الاثار ترتبت كاثر طبيعي لها دونما حاجة للتدخل الالهي ,لان الله سبحانه وضع لكل سبب مسبب .
2- اكد القران الكريم ان لكل عمل اثرا وجزاء يقع اذا اساء الفرد نال العقوبة الدنيوية(الحدود والقصاص) فيعاقب ويجازى الانسان على جريمته كي تكون رادعا له ولغيره, , او يكون الاثر والجزاء عقوبة من الله تعالى تصيبه بنفسه ,فاذا قطع الانسان صلة الرحم نقص في عمره, ويكون الاثر عكسي فاذا وصل ارحامه او تصدق بصدقة فان عمره يزداد ,او يدفع عنه البلاء ,اما اذا ابتعد عن ذكر الله فقد تكفل سبحانه بان تكون معيشته صعبة مضنكه
3- يروي لنا القران نماذج عديدة من الامم التي ارتكبت اعمالا دنيئة فكان الجزاء من الله الاجتثاث الجماعي وبأقصى انواع العذاب ملاءمة للعمل الذي قاموا به.
4- للأعمال التي يقوم بها الانسان اثر بالغ فيما يحيط به, فقد يكون للأعمال اثرا في منع السماء من المطر, وقد يكون الجزاء في تحويل البلدان المزدهرة بجمال شوارعها وارتفاع مبانيها الى ركام تفوح منه رائحة الجثث النتنة ,او يكون الجزاء بإبدال البساتين العامرة بالخيرات الى اراضي جرداء كما حصل في بساتين سبأ وغيرها ,وقد تمتد ايادي الفساد والافساد لتنال البر والبحر ,فاسرف الانسان في تدمير الغابات ورمي النفايات في الانهار والبحار.
5- اذا اصاب الناس شدة وضراء جزاء ما عملوه فان الله سبحانه تكفل بتغيير هذه الشدة الى رخاء اذا ما هم رجعوا الى الله .
6- قيادة المعصوم كفيلة بتحقيق العدالة الربانية, وابعاد المجتمع عن التمزق والتشتت والتمذهب, وعندما بذل المسلمون كل جهودهم لإبعاد امير المؤمنين عن قيادة الامة كان هذا التمزق الذي نشهده اليوم, وقد يكون تسليط الحاكم الجائر عقابا من الله تعالى لظلم الناس وافسادهم البر والبحر.

الهوامش:

[1] - ينظر :القاموس المحيط : مجد الدين الفيروزابادي: (ص: 1270), وتاج العروس: محمد الزبيدي: (37/ 351)
[2] - ينظر: تاج العروس: محمد الزبيدي: (30/ 56)
[3] - ينظر: السنن التاريخية في القران: محمد باقر الصدر: (ص 60)
[4] - ينظر: الامثل في كتاب الله المنزل: ناصر مكارم الشيرازي : (94/5)
[5] - ينظر: المصدر نفسه (235/7)
[6]- ينظر: المصدر نفسة :(127/5)
[7] - الامالي: ابو جعفر محمد بن علي الصدوق :(ص734)

[8] - السنن الكبرى: أحمد بن الحسين بن علي البيهقي : (9/ 200)
[9] - سنن النسائي: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي :(165/4)
[10] - بحار الانوار: محمد باقر المجلسي :(267/59)
[11] - الموسوعة الحرة ويكبيديا
[12] - بحار الانوار: محمد باقر المجلسي: (279/43)
[13] - ينظر: التفسير الوسيط : محمد سيد طنطاوي : (6/ 168)
[14] - بحار الانوار: محمد باقر المجلسي: (271/12-272)
[15] - ينظر: تفسير العياشي: محمد بن مسعود العياشي :(177/1)
[16] - الخرائج والجرائح: قطب الدين سعيد بن هبة الله الراوندي : (847/2)
[17] - المجالس الفاخرة في مصائب العترة الطاهرة: السيد عبد الحسين شرف الدين الموسوي: (ص231)
[18] - السنن التاريخية في القران: محمد باقر الصدر:(ص55)
[19] - ينظر :الكشف والبيان عن تفسير القرآن : أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي:(1/ 194) و تفسير القرآن العزيز :ابن أبي زمنين :(3/ 125)
[20] - التفسير الكبير: أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي:(22/ 96)
[21] - ينظر: بحر العلوم: أبو الليث نصر بن محمد السمرقندي : (1/ 566) ,والكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: محمود بن عمرو الزمخشري: (2/ 178)
[22] - زاد المسير في علم التفسير: جمال الدين أبو الفرج الجوزي: (4/ 323)
[23] - ينظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن: أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي: (10/ 18) ,وزاد المسير ابو الفرج الجوزي: (4/ 324)
[24] - السنن التاريخية في القران: محمد باقر الصدر :(ص57)
[25] - السنن التاريخية في القران: محمد باقر الصدر :(ص57)
[26] - المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري: (1/ 69)
[27] - البحر الزخار أبو بكر أحمد بن عمرو البزاز: (15/ 163)
[28] - معاني الاخبار: ابو جعفر محمد بن علي الصدوق: (216/29)
[29] - بحار الانوار: العلامة محمد باقر المجلسي :(9/45)
[30] - جواهر المطالب في مناقب الإمام علي (ع) : محمد بن أحمد الدمشقي الباعوني: (ص 150)
[31] - ينظر :الامثل في كتاب الله المنزل : ناصر مكارم الشيرازي:(6/490-492)
[32] - مستدرك سفينة البحار: الشيخ علي النمازي الشاهرودي (600/6)
[33] - تفسير الصراط المستقيم : السيد حسين طباطبائي البروجردي: (128/3)
[34] - الزهراء فاطمة بنت محمد: عبد الزهراء عثمان محمد :(ص50)
[35] - ينظر : زبدة التفاسير: فتح الله بن شكر الله الكاشاني (182/5و١٣١)

المصادر والمراجع

- **القران الكريم**

1. الاحتجاج: الشيخ احمد بن علي بن ابي طالب الطبرسي: دار النعمان للطباعة والنشر , النجف الأشرف ,د ط, 1386 – 1966.
2. الامالي :الشيخ محمد بن احمد بن النعمان المفيد, مؤسسة المراقد المقدسة-النجف, العراق ,الطبعة: الاولى,2012.
3. الامثل في كتاب الله المنزل: ناصر مكارم الشيرازي, مؤسسة الاعلمي,بيروت- لبنان, الطبعة: الاولى,1428- 2007.
4. بحار الانوار: العلامة العلامة محمد باقر المجلسي، مؤسسة الوفاق، بيروت- لبنان، الطبعة: الثانية، 1403.
5. البحر الزخار: أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق, مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة, الطبعة: الاولى ، 1988م.
6. بحر العلوم :أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي , دار الفكر, لبنان – بيروت, د ط.
7. تاج العروس: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض, دار الهداية, بيروت - لبنان , د ط.
8. تاريخ مدينة دمشق: ابو القاسم علي بن الحسن ابن عساكر, دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع, بيروت – لبنان,د ط.
9. تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور, الدار التونسية للنشر – تونس, د ط, 1984.
10. تفسير الصراط المستقيم : السيد حسين طباطبائي البروجردي: تحقيق : غلام رضا البروجردي, مؤسسة المعارف الإسلامية , قم – ايران, الطبعة : الأولى, 1422.
11. التفسير الوسيط :محمد سيد طنطاوي, دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة, مصر– القاهرة , د ط.
12. تفسير العياشي: المحدث الجليل ابى النضر محمد بن مسعود بن عياش السلمى السمرقندي, موقع كاسر الصنمين .

13. تهذيب الكمال: يوسف بن عبد الرحمن المزي ,تحقيق : مؤسسة الرسالة , بيروت – لبنان ,الطبعة: الرابعة, 1413 - 1992 م.
14. الثاقب في المناقب : ابن حمزة عماد الدين ابي جعفر محمد بن علي, تحقيق : نبيل رضا علوان, مؤسسة أنصاريان ايران- قم المقدسة, الطبعة : الثانية, 1412.
15. جامع البيان عن تأويل آي القرآن : محمد بن جرير الطبري, دار الفكر - بيروت – لبنان ,د ط, 1415 - 1995 م.
16. الجامع الكبير : أبو عيسى محمد بن عيسى ، الترمذي, المحقق: بشار عواد معروف, د- ط.
17. جواهر المطالب في مناقب الإمام علي (ع) : محمد بن أحمد الدمشقي الباعوني الشافعي تحقيق : محمد باقر, المحمودي , مجمع إحياء الثقافة الإسلامية, ايران - قم ,الطبعة : الأولى , 1416.
18. الخرائج والجرائح: قطب الدين سعيد بن هبة الله الراوندي, مؤسسة الإمام المهدي, ايران - قم المقدسة, د ط, 1409.
19. روضة الواعظين: محمد بن فتال النيسابوري ,منشورات الشريف الرضي ,ايران– قم المقدسة ,د ط.
20. زبدة التفاسير: الملا فتح الله بن شكر الله الكاشاني, مؤسسة المعارف الإسلامية قم – ايران, الطبعة : الأولى - 1423.
21. الزهراء فاطمة بنت محمد : عبد الزهراء عثمان محمد,مؤسسة السبطين http://www.sibtayn.com /
22. علل الشرائع : الشيخ محمد بن علي بن الحسين بن بابويه الصدوق، دار المتقين، بيروت- لبنان، د ط.
23. الكافي: الشيخ ابو جعفر محمد بن يعقوب الكليني، دار الكتب الإسلامية، إيران- طهران، الطبعة: الثالثة، 1367.
24. القاموس المحيط: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى , تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة, مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان, الطبعة: الثامنة، 1426 هـ - 2005 م.
25. الكشاف :محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري, دار الكتاب العربي ,لبنان– بيروت, الطبعة: الثالثة, 1407 هـ.
26. لواعج الأشجان: السيد محسن الأمين العاملي: منشورات مكتبة بصيرتي ,ايران - قم ,د ط, 1331.
27. المجالس الفاخرة في مصائب العترة الطاهرة: السيد عبد الحسين شرف الدين الموسوي, مؤسسة المعارف الإسلامية, ايران – قم ,الطبعة: الاولى,1421.
28. مختار الصحاح , زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر, المحقق: يوسف الشيخ محمد, المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت – صيدا, الطبعة: الخامسة، 1420هـ / 1999م.
29. مجمع الزوائد: ابو الحسن نور الدين الهيثمي , دار الكتب العلمية - بيروت – لبنان ,د ط , 1408 - 1988 م.
30. مستدرك سفينة البحار: الشيخ علي النمازي الشاهرودي, مؤسسة النشر الإسلامي ,ايران - قم ,د ط , 1419.
31. مفاتيح الغيب: محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين الرازي, دار احياء التراث العربي, بيروت – لبنان ,الطبعة : الثانية,1420 .
32. موسوعة ويكبيديا الحرة /https://ar.wikipedia.orq/wik